



عشية التصويت في مجلس الأمن على قرار أممي يتوقع أن يقود إلى اهتزاز معنوي لنظام السفاح بشار الأسد، بلغت المجازر في سوريا حدأً لا مثيل له مع استشهاد المئات وإصابة نحو ألف في مدينة حمص وحدها، بخلاف المدن والبلدات السورية الأخرى التي تشهد تحدياً متزايداً للعصابة الحاكمة في دمشق.

الاهتزاز المعنوي، لا يضاهيه الارتجاج الزلالي الذي يحدثه الثوار الأحرار في سوريا، والذين يبادرون إلى إحداث خروق واسعة في جدار التحدي السلطوي للزحف الثوري الحر على معاقل الرئيس السوري الأخيرة في معركة استنزاف منهجية وعقرية بدأت تؤتي ثمارها مع انفجار الأوضاع في مجمل المدن والبلدات والريف السوري. نكتب هذه السطور في الحقيقة، ومساجد سوريا كثيرة جداً تجأر بالدعاء، وخلفها مساجد في عدد من بلدان العالم العربي، وأصوات التكبيرات تصعد إلى سماء إدلب وحمص وحماة ودرعا مع أعنف موجات العنف الطائفي الذي يديره النظام الصهيوني في دمشق.

ونكتبها، وأوكار الجوايس/السفارات السورية في أكثر من بلد أوروبي وعربي تفتح من قبل الثوار، وترفع عليها أعلام الاستقلال قبل أن تتدخل الشرط لإعادة الأمور إلى سابق عهدها من تسلط أذناب بشار على تلك السفارات..

ونكتبها، والثورة المسلحة لم تعد حكراً على المنشقين على جيش العار، بل صارت هماً شعبياً تتتنوع أدواته وإبداعاته حتى تتشتت أنظار البغاء، والانشقاقات خلال الأربع والعشرين الماضية تحدث عنها الأنباء أنها قد صارت كبيرة ومتنوعة وممتدة في كل مساحة سوريا، وأصحاب الرتب العالية باتوا يقلبون النظر في قرارهم بالاستمرار مع نظام بشار متربدين فيمن يرونه "الفرس الرابع" في المعركة لينحازوا إليه، إن لم ينشقوا لأسباب أخلاقية!

والانفجارات تتواتي، والشعور بأمن النظام يتآكل بسرعة، وحساباته أصبحت طائشة، ويعبّر عن غبائها واضطرابها في تلك اللحظة بالذات التي يهدد فيها النظام بتدخل ما دولي، بتصعيد غير مسبوق بقصد الخالية بحمص، بعد أسر جنود لها فيها، وسيطرة على أحياط عدة بها لفترات ليست قصيرة، ومع تشكيل لواء أحرار حلب لأول مرة إيداناً بدخولها خط المقاومة المسلحة؛ فالنظام قد بات محشوراً في زاوية ضيقة، موضوع بين خيارين أحلاهما مر؛ فإذا ترك الخرق يتسع عليه مع محدودية رد فعله العسكري، وهو أمر مستحيل، حتى على طريقة تفكيره أن يتفهمه، وإنما أن يصعد فيستدعي انشقاقات أكبر، ويعيد الطريق نحو قرارات دولية، وهو في الحالين يحرق أوراقه، وهو لفريط دمويته اختيار المسار الثاني، إما "مضطراً" أو مقلداً للنظام نفسه إبان حكم الراحل حافظ الأسد الذي ارتكب مجزرة بشعة في حماة أودت بحياة نحو 70 ألفاً من مواطنيه، والتي تحل ذكرها في هذا التوقيت بالذات ليمنح الثورة السورية زخماً عالياً، وقدرة أعلى على الصمود والتحدي.

وب قبل ثلاثين عاماً، كان الإخوان وحدهم في تلك المعركة، وخسروها لضعفهم حينها، لكنهم الآن جزء من سياق وطني عام،

ثورة عارمة ممتدة، وقوة إعلامية وسياسية غير مسبوقة، واليوم، يحرق النظام منزله بنفسه، وتبدو الثورة ذات الرقعة الجغرافية الممتدة، العصبية على الاندحار، ماضية في طريق النصر، ولا تبدو عصابة بشار قادرة على الوقوف في وجه هذا الزحف الهادر.

المصادر: